كيف تستدرك الفصاح في المعجمات الحديثة(١)

في هذا البحث الذي أتشرف باسماعكم اياه ، عرضت لألفاظ معدودة من فصاح اللغة ضيمت بالاستعمال ، فعدل بدلالتها عن جهتها ، أو داخلها التحريف ، أو انفرد بها راوٍ متأخر زمنه عن زمن الرواية ، ولم يُستأنَ في أمرها ، فأخذت على علاتها .

وانما اقتصرت على هذه الالفاظ المعدودة لانني تناولتها على نحو من النقد والتوجيه اصطنعت فيه الاستقراء والتمثيل له ، بقدر الطاقة وإسعاف الفكر ، ليستبين فيها وجه الرأي ، ويستند البحث الى سِناد، فامتد نفس الكلام عليها ، والمقام لا يتسع ظرفه لاكثر منه . على أنني لم أردها لذاتها بقدر ما أردت ما يترتب على بحثها من نتائج رفضاً لهاولامثالها مما يجري منها بسبيل يقضي بنفيها من المعجم الحديث ، أو قبولا لها ولامثالها يأذن باقرارها وادخالها في المعجم الحديث بعد درس مُستأنٍ ، يشارك فيه الرأي الجميع ، ولا يستبد به الرأي الفاذ .

وأصطنع مذهب (البُحتري) في اقتضابه ، فأقتحم الكلام على هذه الالفاظ وثبا ، لاخلص الى النتيجة التي أبغيها ، وانـي بآرائكم لشديد الاعتزاز .

(١)

أول هذه الالفاظ (أنجب) اللازم ، واستعماله على سبيل التوهم متعدياً ، وتحويله بذلك عن دلالته ومعناه ، وليس بأحد حاجة الى هذا التصرف المفسد لمقاصد الكلام العربي الاصيل مع وجود الالفاظ الخاصة بالمعنى الذي يريدونه ، مثل : ولده ، ونجله ، ونسله .

---

(١) بحث ألقي في المؤتمر السابع والثلاثين لمجمع اللغة العربية في القاهرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا الفعل الرباعي اللازم ، يدخل ، في طوائف من الافعال جاءت على (افعل) ، تحت باب ما همزه يفيد معنى الاتيان بالشيء . وكل هذه الافعال قد لزمت الفاعل ، لم يشذ شيء منها عن ذلك . فاذا عدّيت أفادت معنى آخر .

وما جاء منه في كلام العرب ، كثير جدا ، اذكر منه ما يحضرني الآن :

تقول العرب : أنجب الرجل والمرأة اذا جاءا بولد نجيب ، أي كريم فاضل في نفسه ، وأنخبا ، بالخاء المعجمة ، جاءا بولد منخوب جبان . وأضوى الرجل : أتى بولد أو نسل ضاويّ ، ومنه الحديث الشريف « اغتربوا ، لا تضووا » . وأسنع الرجل : جاء بأولاد حسان طوال . وأذكرت المرأة : ولدت ذكراً ، وفي الحديث الشريف : « اذا غلب ماء الرجل ماء المرأة اذكرا » اي ولدا ذكرا . وآنثت الحامل : ولدت أنثى . وألأم الرجل : ولد أولاداً لئاما ، وأذمّ : وُلِد له ولد مذموم وأخبث : ولد له اولاد خبثاء . وأكرم : أتى بأولاد كرام . وأحولت المرأة او الناقة : ولدت ذكرا على أثر انثى ، أو انثى على اثر ذكر . وأجزأت : اذا ولدت الاناث دون الذكور ، وأتأمت : اذا ولدت ولدين في بطن . وأرجلت : ولدت ولدا ذكرا . وأشهب الفحل : ولد له الشُهب ، وأصهب : ولد له الصهب . وأبلق : ولد له ولد أبلق . وأكشفت الناقة : تابعت بين النتاجين . وأصاف الرجل : ولد له في الكبر ، وولده صيفيون . وأربع : ولد له في شبابه ، وولده ربعيون ، قال الراجز :

ان بني صبية صيفيون افلح من كان له ربعيون

وأحمق : ولد له ولد أحمق . وأحمر : ولد له ولد أحمر . وأسود وأساد : ولد له ولد أسود . وأكاس : ولد له أولاد أكياس . وأسقبت الناقة ولدت ولدا ذكرا ، وأحلب الرجل : ولدت ابله اناثا . وأجلب : ولدت له ذكورا ، ومن كلامهم : أأحلبت أم أجلبت ؟ وأركّت السحابة : جاءت بالرّك ، وهو المطر الضعيف القليل ، وأودقت : جاءت بالودق وهو المطر ، وأطشت : أتت بالطشيش المطر الضعيف ، وهو فوق الرذاذ . وأفلق الشاعر : أتى بالعجيب في شعره . وأحسن : أتى بفعل حسن . وأملح : جاء بكلمة مليحة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأقبح : أتى بفعل قبيح . وأفجر : جاء بالغدر والفجور . وأذنب : أتى بالذنب . وغير هذا كثير .

وما عدي من هذه الافعال ، خرج الى معنى جديد غير معنى الاتيان بالشيء ، ومنه : انجب من الشجر قضيباً : قطعه . وأخبث الرجلُ الرجلَ : علمه الخبث ، وهو غير أخبث اذا ولد له ولد خبيث في نفسه ، واكاسه : أخذ بناصيته ، وهو غير اكاس اذا ولد له أولاد أكياس . وأحسن الصنيع : جوده ، وهو غير أحسن اذا أتى بفعل حسن ، ومن الاول قوله تعالى : (صوركم فأحسن صوركم)(١) ، ومن الثاني قوله تعالى : (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم)(٢) .

هذا هو التأصيل اللغوي لهذا الباب ، عُنيت به لأرد اليه مناقشة التوهم في هذا اللفظ الذي وقع في بعض الكلام .

ومن الحق ان اذكر ان هذا الفعل ، فعل أنجب ، قد ورد موصولا به الباء وضميره ، وله شاهد قديم في شعر عُزي للاعشى حيناً ، وروى غفلا من العزو حيناً آخر ، وهو قوله :

أنجب أيامَ والداه بـه اذ نجلاه فنعم ما نجلا

واستعمال الشاعر : (نجلاه) أي ولداه ، مع (أنجب به) ، نص في تصحيح دلالة (انجب) التي انحرف بها من لا تحقيق عندهم الى وجهة أخرى .

و (أنجب به) قليل في الاستعمال ، ويحضرني من ذلك ما جاء في ترجمة العباس بن عبد المطلب ــ وهو في نكت الهميان ١٧٥ ــ قال : « أمه (تثلة) .. ولدت العباس لعبد المطلب ، فأنجبت به » ، وتلاحظ هنا دلالة (انجبت به) مع قوله (ولدت العباس) كما تقدم مثله في بيت الأعشى ، لتعرف الصورة الاصيلة في استعماله .

وأما (أنجب) من غير الباء ومجروره ، فاستقصاؤه يطول لكثرته ،

---

(١) سورة غافر ــ في الآية ٦٤ ، وسورة التغابن ــ في الآية ٣ .

(٢) سورة الاسراء ــ في الآية ٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنه قول العرب : « رَبٌّ حمقاء مُنجبة » ، وقيل : « أربعة مَوْقَى : كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وعجل بن لجيم ، ومالك بن زيد بن مَنَاة بن تميم ، وأوس بن تغلب . وكلهم قد انجب ! » أي ولدوا الاولاد النجباء الفضلاء في انفسهم ، وآباؤهم موقى حمقاء ! !

وقال ابن الزبير : « لا يمنعكم من تزوج امرأة قِصَرُها ، فان الطويلة تلد القصيرة ، والقصيرة تلد الطويل ، وإياكم والمذكرة فانها لا تنجب »(١). وامرأة مذكرة تشبه في شمائلها الرجال ، لا في خلقتها .

وجاء في شعر العباس بن مرداس السلمي ، يذكر فرسيه (صوبة) و (الصموت) :

أعددت صوبَة والصموت ومارناً ومنفاضة للرَّوع كالسَّحلِ
فرطَ العِنان ، كأن ملجمها في رأس نابتة من النخلِ
فرطَ العِنان ، كأن ملجمها في رأس نابتة من النخلِ
بين الحمالة والقَرَيظ ، لقد أنجبت من أم ومن فحل(٢)

وفي قول شاعر آخر في (شقيق) فارس (ميّاس) ، وهو في كتاب انساب الخيل ، ولم يعز الى قائله :

عرانين من عبد بن غَنم ، أبوهم هِجان ، تسامى في الهجان،وانجبا(٣)

وفي تأريخ ابن الأثير : « قال إسحاق بن ابراهيم المصعبي ، وهو يحاور المعتصم ، وقد قال له : انه نظر الى اخيه المأمون ، وقد اصطنع أربعة فأفلحوا ، واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم . فقلت : أجيب على أمان من غضبك؟ قال : نعم . قلت: يا أمير المؤمنين نظرأخوك الى الاصول فاستعملها فأنجبت ، واستعمل أمير المؤمنين فروعاً فلم تنجب ، اذ لا أصول لها . فقال : يا اسحاق ، لمقاساة ما مر بي طول هذه المدة أهون علي من هذا

(١) عيون الاخبار ٣/٤ .
(٢) انساب الخيل ، لابن الكلبي ٨٣ .
(٣) انساب الخيل ٨٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجواب ! » (١) .

وبسبيل من هذا الاستعمال الصحيح لهذا الفعل ، قول الذهبي في (ذيل العبر) في مفيد الدولة نجم الدين اسماعيل بن ابراهيم بن الخباز ، المتوفى سنة ٧٠٣ هـ : « كتب عمن دبَّ ودرج ، وجمع وكتب الكثير ، ولم ينجب » ، أي : لم يتقن ما جمع وكتب . وقد نقل محقق الكتاب من شذرات الذهب (٨/٦) : « أنه كان له ولد ، يقال له ابو عبد الله محمد ، وكان مُسنِدَ وقته » (٢) .

ومنه أيضا قول شاعر العصر الحديث « احمد شوقي » في قصيدة (صحبة المكتب) الرائعة :

وكم منجب في تلقي الدروس تلقّى الحياة فلم يُنجِبِ

وأكتفي بهذا القدر من الاستعمال الصحيح لهذا الفعل ، وانتقل الن ما ورد منه في بعض الكلام مخالفا لقاعدة الباب وأمثلته ، ومنه ما يوهم أنه استعمال صحيح لا مانع يمنع منه لوروده في بعض المعجمات ، أذكر ذلك استكمالا للتحقيق الذي أردته ، ودرءاً للشبهات التي اكتنفته منها .

وقد عثرت في بعض الشعر القديم على نصين ، ورد فيهما هذا الفعل متعديا ، أحدهما لشاعر جاهلي ، هو طُفيل الغنوي وصاف الخيل المشهور ، والآخر لراجز من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، يقال له « حفص الاموي مولاهم » .

فأما نص طُفيل الغنوي ـ وهو في تاج العروس ـ فهو قوله في (ك/ت/م) يصف بعض أفراس العرب :

دقاق كأمثال الشواجن ضُمَّر ذخائر ما أبقى الغُراب ومُذهبُ

أبوهن مكتومٌ وأعوجُ ، أنجبا ورادٌ وحُوٌّ ليس فيهن مُغرب (٣)

وفي هذين البيتين تحريفان ، (فالشواجن) في البيت الاول هي تحريف

---

(١) الكامل ١٩٥/٦ .

(٢) ذيل العبر ، طبعة وزارة الثقافة الكويتية بتحقيق الاستاذ رشاد عبد المطلب .

(٣) الغراب ، ومذهب ، ومكتوم ، وأعوج : من فحول خيل العرب قبل الاسلام . والمغرب الذي ابيضت مشافره ومحاجره وبطنه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السراحين أي الذئاب ، والعرب يشبهون الافراس بها في ضمورها وعدوها، ولا معنى للشواجن في سياق البيت ، وروايته في ديوان طفيل :

وخيل كأمثال السِّراح مصونة ذخائر ما أبقى الغُراب ومذهبُ

والسراح والسراحين كلاهما جمع السرحان .

و (أنجبا) في البيت الثاني ، هي في الرواية الصحيحة (تفتلى) ــ أي تفصل من أمّاتها ــ كما جاء في ديوان طفيل ، وهو محقق على أصول معتمدة . وقد حققه كرنكو وطبعه في سنة ١٩٢٧ م في ليدن في سلسلة جيب التذكارية ، وأعاد تحقيقه محمد عبد القادر احمد معتمداً على أصلين: تحقيق كرنكو ، ونسخة صحيحة من الديوان في مكتبة الآثار القديمة ببغداد من رواية أبي حاتم السِجستاني عن الأصمعي ، وطبعه في بيروت سنة ١٩٦٨ م .

ومما يستأنس به في تصويب هذا التحقيق شعر آخر لطفيل الغنوي في ديوانه ، وهو قوله :

جلبنا من (الأعراف)أعرافِ غمرةٍ وأعراف لبنى الخيل،يابعد مَجلبِ(١)
بنات الغريب والوجيه ولاحق وأعوج تَنمي نسبة المتنسبِ
ورِاداً وحُواً مشرفاً حَجباتها بناتِ حصانٍ قد تُعُولم منجبِ
وكُمتاً مدمّاةً ، كأن متونها جرى فوقها واستشعرت لون مُذهب

وأما نص الراجز حفص الأموي مولاهم ، فهو قوله في أرجوزة ارتجزها ارتجازاً :

إن الجوادَ السابق الإمامُ خليفة الله الرضى الهمامُ
أنجبه السوابقُ الكرامُ من منجبات مالهن(٢) ذام

(١) قال ياقوت : « قال أبو زياد : في بلاد العرب بلدان كثيرة تسمى الاعراف ، منها أعراف لبنى ، وأعراف غمرة ، واستشهد بشعر طفيل هذا .

(٢) كذا في معجم الادباء ، والظاهر : ما بهن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا الرجز ذكره ياقوت في ترجمة حفص هذا في معجم الادباء (١) ، في خبر يتحدث فيه راويه ، وياقوت ناقل عنه ، عن حلبة زُعم أن هشام ابن عبد الملك أجرى فيها بين يديه أربعة آلاف فرس ، وهو ينظر اليها تدور ، وبينها فرس له ، وجعل الناس يتراءونها حتى أقبل فرسه كأنه ريح لا يتعلق به شيء ، حتى دخل سابقاً ، وأخذ القصبة ، ثم جاءت الخيل بعده أفذاذاً وأفواجاً ، فوثب الرُجاز يرتجزون من فورهم ، بعضهم يرتجز في مدح الخليفة وفرسه كما فعل حفص ، وبعضهم يرتجز في مدح غيره كما فعل غيره على ما جاء في الخبر ، وهو في جملته وتفصيله مصنوع مفتعل ، وفيه إحالة ظاهرة ، فان اجراء أربعة آلاف فرس أمر غير معقول وهبها يتسع لها الطريق والميدان ، فكيف تسلم من أن يحطم بعضها بعضاً وهبها تسلم من أن يحطم بعضها بعضا فكيف استبين فرس الخليفة من بينها في عجاجتها ، ولِم كان وحده من بين الأربعة آلاف فرس الريح ، لا يتعلق به شيء ، فهل كانت تلك الأفراس كوادن ، وكان هو وحده الجواد ؟ ثم بعد هذا كيف يعقل أن يتجاوز الرُجاز (غير حفص) الخليفة بالمدح ، وفرسه هو السابق ، وهو ، أعني الخليفة ، موضع رجائهم في نيل جوائزه ؟

أقول هذا ومعي المنطق المعقول ، لأخلص الى رفض هذا الرجز من حيث هو مصنوع وموضوع ، على أنني أدع هذا النقد الداخلي كله ، وأقرر أن هذا الرجز مسوق في قصص في كتاب أخبار وتراجم ، وليس في كتاب لغة محقق معتمد ، ومثله يحتمل وضع كلمة فيه موضع أخرى ، فلم لا تكون (أنجبه) هذه في الأصل (نَجلَه) ، فبدّلها الراوية أو الناقل أو الناسخ ، والوزن قابل لها ؟ وحفص الأموي راجز معروف عند علماء اللغة، يستظهرون برجزه في دواوينهم الكبار ، وفي « لسان العرب » وغيره أشياء من رجزه استشهدبها في مواد (دخ) و (جلخ) و(طلخ) و (لخ) و (أخ) ، وغيرها مما لم يسعفني الوقت لتقصيه ، فلا جرم أنهم ما كانوا ليغفلوا عن هذا الرجز الذي فيه (أنجبه) لو صحت عندهم روايته ، ليؤكدوا به وجهاً

(١) معجم الادباء ١٠/٢٠٩ ـ ٢١٤ ط . أحمد فريد رفاعي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جديداً لاستعماله . وهذا الامر ، أعني وضع كلمة موضع أخرى كثير ، وفي هذا الخبر في معجم الأدباء حرف اسم فرس الخليفة ، واسمه (الذائد) فصُيِّر (الزابد) في موضعين منه ، في نثره وفي رجزه ، وليس في خيل العرب فرس اسمه (الزابد) على وجه التحقيق . فهذا مثل ذاك .

وألحق بهذين النصين كلاماً قرأته في كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي في كلامه على (الصغا) أو (الصفا) ـ كذا ولم يحرر فيه ـ وهو فرس مُجاشع بن مسعود السُلمي ، وقد جاء فيه أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، اشترى هذه الفرس(١) بعشرة آلاف درهم ، ثم غزا مجاشع ، فقال عمر : تحبس منه بالمدينة ، وصاحبها في نحر العدو ، وهو اليها أحوج ؟ فردها اليه ، فأنجبت عنده ولده ، حتى بعث الحجاج بن يوسف، فأخذها بعينها ـ كذا ، وهو خبر غريب في نفسه لاستحالة أن يشتري عمر فرساً بهذا المال الكثير ليرتبطها ، ولاستحالة أخرى أبلغ في البطلان ، وهي أن تعيش الفرس ويعيش ولدها الى زمن الحجاج بن يوسف .

ولندع هذا ، ونقف عند التعبير : (أنجبت عنده ولده) ، فان احتمال زيادة (ولده) فيه من النساخ ، غير بعيد ، وورودها على هذا النحو ، مُجافٍ لمدرك الباب وأمثلته : أعني باب همزة الإتيان ، ولا يمكن ان تنزع اليه السليقة العربية الموروثة في العصور الاولى .

بعد هذا التحقيق ، أسوق أمثلة مما انزلق اليه بعض المولّدين وبعض المعاصرين في نقل هذا الفعل عن جهة صوابه ، ليكون الدارس على بينة مما يراه . ويحضرني من كلام المولّدين مثالان ، أحدهما كتب به شبل الدولة مقاتل(٢) به عطية الله البكري من شعراء (خريدة القصر(٣)) ، أي القرن

---

(١) العرب تقول : هذه الفرس .

(٢) في انباه الرواة : « مقبل » ، وهو تحريف .

(٣) في الجزء الرابع من قسم شعراء العراق ، مخطوط (بتحقيقي) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الهجري ، وهو في وفيات الاعيان(١) وانباه الرواة (٢) أيضا ـ الى جار الله الزمخشري ، قال :

هـذا أديـب كامـل مثـل الدراري درره
زمخشـري فاضـل أنجبـه زمخشـره
كالبحر : إن لـم أره فقـد أتاني خبـره

والمثال الآخر ، أصبته في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد(٣) قال : « واحتذيت انا حذو أبى نصر بن نباتة ، فقلت لأبي المظفر هبة الله بن موسى الموسوي :

أمك الدرة التي أنجبت من جـوهر المجـد راضيا مرضيا

ومن كلام المعاصرين قول الامير شكيب أرسلان في أناتول فرنس(٤) :«إن هذا الهازل العظيم كلما توغل في حب الطبيعة وعشق الانسانية ، تقرب الى المسائل الاجتماعية . انجبه الشعب ، فأراد ان يبقى من الشعب » وقوله فيه أيضا(٥) : « فهو عندي أعظم عبقري أنجبته فرنسة » ، وقال في ملحق الجزء الاول من تاريخ ابن خلدون : « أنجبت افريقية الاسلامية اجتماعياً من الطبقة الاولى في شخص ابن خلدون » . وقال عن (شوقي) :(٦) « وجدير بالشاعر الذي أنجبه هذا الوادي ان يكون له منه خطاب شهير » .

ومما جاء منه في شعر المعاصرين ، قول معروف الرصافي في بعض شعره الاستنهاضي في إبان شبابه ، وهو يخاطب بغداد :

أراك عقمتِ لا تلـدين حُـرا فهـلا تُنجبـين فتى أغـرا
وكنت لمثلـه أزكـى ولـود

ولو قال : تنجلين « أو تنسلين » ، لحالفه التوفيق ، ولزم السليقـة الأصيلـة .

---

(١) جـ ١١٤/٢ ط . الميمنية بمصر ١٣١٠ هـ .
(٢) في ترجمة الزمخشري ٢٧١/٣ .
(٣) ٣٧٤/١ .
(٤) كتاب أناتول فرانس في مباذله ٣٨ .
(٥) ص ١٥٨ .
(٦) كتاب شوقي أو صداقة اربعين سنة ، ص ٣٣٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢)

اللفظ الثاني فعل هرب ومصادره .

من المراجع ما أورد مصدراً واحداً له ، ليس غير ، وهو الهرب . ففي تهذيب اللغة : « وأهرب فلان فلاناً اذا اضطره الى الهرب » ليس فيه أكثر من هذا . وفي الصحاح « الهرب : الفرار » ، وفي لسان العرب : « الهرب : الفرار . هرب يهرب هربا : فر . يكون ذلك للانسان وغيره من أنواع الحيوان » .

ومن المراجع ما أورد مصدرين له : الهرب والمهرب ، كما في أساس البلاغة ، ولفظه : « جدّ به الهرب ، والمهرب » .

ومنها ما أورد ثلاثة مصادر له : الهرب ، والمهرب ، والهَرَبان ــ كما في تكملة الصاغاني ، والقاموس المحيط ، وقال الزبيدي في تاج العروس ، وهذه أي الهربان عن الصاغاني ، وعلّل ورودها على فَعَلان بما فيه من الجولان والاضطراب .

والهرب والمهرب كثيران في كلام العرب ، ولكن الهربان قليل ، بل غريب ، لا أحفظ له شاهداً يوثق به ، وأغلب الظن أن الصاغاني لم يذكره اعتباطاً ، وان المجد قد تابعه عليه ، وتعليل الزبيدي للهربان بما فيه من الجولان والاضطراب ، كالروغان والعسلان والغليان والفوران ، سليم منطقياً ، ولكن العبرة في اللغة بالشاهد لا بالتعليل .

وانفرد ابن القطاع في كتاب الأفعال فذكر الهروب مع الهرب ، وأهمل المهرب والهربان ، ولم يوثق الهروب بالشاهد . وفي نفسي من ابن القطاع شيء بسبب انفراده بأشياء أخرى أيضاً . وجاء الهروب عرضاً في الزمن الأخير في نموذج المعجم الكبير لسنة ١٩٥٦ الذي ألغي ، وذلك في مادة (أبق) ، قال : « وقال الازهري : الأبق : هروب العبد من سيده » والنص في لسان العرب « الأبق : هرب العبد من سيده » . وكذلك فعل المعجم الوسيط ، فذكر الهرب والهروب والهربان مجتمعات . ثم أفرد المهرب بالذكر بعد كلام على معاني الهرب وعلى مزيده الرباعي ، فلم أتبين الحكمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في ذلك . ولست أشك في أن المعجم الوسيط قد أخذ (الهروب) ، من أفعال ابن القطاع ، ورواية ابن القطاع (وليس هو من عصر الرواية) هي من قبيل الآحاد في الأحاديث ، ولا بد للعمل بالآحاد من تقويتها بما يعضدها ويعززها .

وقد سرى هذا (الهروب) الى بعض شعري قديما ، وبدا لي فأذكيت العين في طلب الشاهد له ، والتمسته في الفينة بعد الفينة ، فلم أقع عليه الا في كتيب حديث يقص سيرة عبقري العرب الخليل بن احمد رحمه الله . ساق قصته مع ولده عبد الرحمن وكان فيما ذكروا أحمق متخلفاً لا يفهم ، وعنيداً لا يستكين ، وقد جاء الخليلَ شاعر يزوره ، وجلس عنده ، وكان عبد الرحمن حاضراً ، وعرضت حاجة للخليل ، فقال لابنه : قم وأحضرها فقال ابنه : لا أقوم ، فقال : اذا لم تقم فاقعد ، قال : لا أقعد ، قال : فأي شيء تصنع ؟ قال : فأي شيء أصنع ؟ وضحك الشاعر ، وقال للخليل : ان لك أن تتعزى ، فابنك ليس وحيداً في ذلك . ان لي امرأة تشابهه ، وقد قلت فيها شعرا . ثم أنشده الشعر ، فضحك الاثنان ، وضم عبد الرحمن شفته السفلى الى العليا وأبرزهما الى الامام احتجاجا وأنفةً .

وشعر هذا الشاعر الذي فيه شاهد (الهروب) هو قوله :

سكتُّ ، فقالت : لِمَ سكتَّ من الحق ... وقلت ، فقالت : مادعاك الى النطق؟
فاومأت : هل من حالة بين ذا وذا ؟ ... فقالت : وذا الايماء أيضا من الحمق؟
فلم أر لي اذ حلت الغربَ راحةً ... من الشر الا في (الهروب) الى الشرق
فلما أتيت الشرق ألفيتها به ... وقد قعدت لي منه في ضيق الطرق

ولم أسترح لهذا الشعر ، لان قائله مجهول ، والكتيب الذي ساقه ليس من كتب اللغة المعتمدة ، ولعله أيضاً قد داخله التحريف أو التبديل واللغة كما نعلم جميعاً لا تقمش قمشاً من هنا وهنا ، وانما تؤخذ من مواردها الأصيلة المحررة .

ولقد صح ظني في مداخلة التبديل لهذا الشعر ، بل للهروب نفسه في البيت الثالث اذ أصبته بعد لأيٍ في الشرح الكبير لمقامات الحريري من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تأليف أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي ، وقد ساق الخبر والشعر مرتين : مرة في ٢٤٨/٢ وفيها روايته البيت ، بيت الهروب، على النحو المتقدم مع اغفال اسم الشاعر أيضا ، ومرة في ٣٩٠/٢ ، وقد نسب الشعر فيها الى أعرابي لم يسمه ، وليس هذا الشعر من نمط شعر الأعراب في شيء ، والبيت في هذه الرواية قد وضع فيه (المسير) في موضع (الهروب) كما وضعت كلمات أخرى بدل بعض الكلمات في المقطوعة . وهكذا تعارضت الروايتان في كتاب واحد ، فسقطت الحجة وبطل الاستدلال ، هذا مع التساهل في قبول المجاهيل .

(٣)

اللفظ الثالث صمد ، ومعناه ، ومصدره .

جرى في الاستعمال الحديث (الصمود) مصدرا للفعل (صمد) ، وأعطي غير معناه عند العرب .

والصاد والميم والدال ــ كما قال أحمد بن فارس في (المقاييس) أصلان : احدهما القصد ، والآخر الصلابة . فالاول الصَّمدُ : القصد ، يقال : صمدته صمداً ، وفلان مصمَّدٌ : اذا كان سيدا يقصد اليه في الامور، وصمد أيضاً ، والله جل ثناؤه الصَّمدُ ، وهو كل مكان صلب .

وعلى هذين المضمونين جرت الأمهات المتداولة : تهذيب اللغة ، والصَّحاح ، وأساس البلاغة ، والقاموس المحيط ، ولسان العرب ، وتاج العروس ، والنهاية ، ومفردات الراغب .

وكلها قد ذكرت (الصَّمد) وحده مصدراً لـ (صَمدَ) ، ولم يذكر شيء منها (الصمود) ، كما أنها كلها ذكرت من معاني هذه المادة مالا يخرج عن تأصيل (المقاييس) لأصليها : القصد والصلابة ، ما خلا زياداتٍ عليه في بيان وجوه استعمال فعله متعدياً بنفسه ، أو بالهمزة ، أو بالتضعيف وأذكر منها ما يعنيني ، وهو من لسان العرب وتاج العروس ، ففيهما : « صمده ، يصمده ، صمداً ،وصمد اليه : كلاهما قصده . وصمد صمدَ هذا الأمر : قصد قصده واعتمده ، وتصمَّد له بالعصا : قصد . وفي حديث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معاذ بن الجموح في قتل أبي جهل ـ وليلاحظ انه مسوق في بيان معنى القصد ـ : « فصمدت له حتى أمكنتني منه غرة » ، أي: وَثَبتُ له وقصدته.

وقد حرف النساخ أو المطبعة (وثبت له) الى (ثبتُ له) في (النهاية في غريب الحديث) طبعة المطبعة الخيرية ، ومختصرها (المسمى بالدر النثير) القابع في أسفل (النهاية) ، فصرف بذلك عن معناه خلافا لنصي اللسان والتاج ، والذي يناسب القصد انما هو الوثوب لا الثبات ، وليس للثبات صلة ما بالسياق وبالاصل المؤصل للصاد والميم والدال ، فهو مباين له بلا نزاع .

وقد شاع في الايام الاخيرة (الصمود) مصدراً لصمَدَ ، واستعمل بمعنى الثبات ، فقالوا : صامد وصامدون ، أي ثابت وثابتون .

فأما (الصمود) مصدراً لصمَدَ ، فقد أغفلته الامهات ، ولم تذكر له غير مصدر واحد هو (الصَّمْدُ) كما قدمت . وانفرد ابن القطّاع بذكره مع (الصَّمْد) في كتاب الافعال كما انفرد بالهروب وبغيره أيضاً ، فقال : « صمدت الى الله تعالى صمداً وصموداً ، وأصمدت : لجأت . وصمدت للشيء صمداً ، وصمدته : قصدته » . ويلاحظ ، اذ ذكر الصمود ، أنه خصّه بمعنى اللجوء ، ليس غير . واللجوء قريب من القصد ، وكلاهما بعيد عن الثبات .

في الثبات الرسوخ والاستقرار ، وفي الصَّمْد الحركة والمبادرة والوثوب ، واعطاء الصمد معنى الثبات إضعاف له ، ونحن نبثت للعدو في قتاله ، ثم نصمد اليه ونهجم عليه ، فالثبات أولا ، ثم يكون الهجوم بعد الرسوخ والتعبئة والاستعداد .

قال الله تعالى في سورة الانفال (٤٥) « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا » أي لا تفروا ولا تضطربوا . وقال في سورة البقرة (٢٥٠) وسورة آل عمران (١٤٧) : « ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا » .

واذا أردنا الهجوم ، قلنا : صمداً صمداً ، ألا نرى الى الامام علي بن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبي طالب رضي الله عنه كيف يقول ذلك لاصحابه في أول أيام اللقاء والحرب بصفّين ــ وهو في نهج البلاغة : « .. فعاودوا الكر ، واستحيوا من الفر ، فانه عار في الاعقاب ،ونار يوم الحساب ، وطيبوا عن انفسكم نفساً ، وامشوا الى الموت مشية سُجُحاً ، وعليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنّب فاضربوا ثَبَجه ، فان الشيطان كامن في كسره ، وقد قدّم للوثبة يداً ، وأخّر للنكوص رجلا ، فصمداً صمدا ، حتى ينجلي لكم عمود الحق ، وأنتم الاعلون ، والله معكم ، ولن يَتِرِكم أعمالكم »(١) .

أهذا الكلام ، اذ يقول فيه بعد أمره أصحابه بمعاودة الكر : فصمداً صمداً ، يشم منه معنى غير معنى القصد والهجوم ؟

قال ابن أبي الحديد يشرحه : « وقوله عليه السلام : فصمداً صمداً، أي اصمدوا صمداً صمداً . صمدت لفلان : اي قصدت له » .

وجاء في خبر ذهاب شبيب نحو الكوفة ومحاربته الحجاج واخافته ، قوله ــ وهو في شرح نهج البلاغة : « دبوا دبيباً تحت تِراسكم ، حتى اذا صارت أسنة أصحاب الحجاج فوقها ، فأدلفوها صمداً ، وادخلوا تحتها، واضربوا سوقهم وأقدامهم ، وهي الهزيمة باذن الله » ، فأقبلوا يدبون دبيباً تحت الحَجَف صمداً صمداً نحو أصحاب الحجاج (٢) .

أفأراد شبيب بقوله : « فأدلفوها صمداً » ، وبقوله : « صمدا صمدا نحو أصحاب الحجاج » : أثبتوا لهم ، أم أراد اقصدوا نحوهم ؟

واذا استقر هذا كله في الاذهان ، واطمأنت اليه الانفس ، فلعله يصلح حينئذ منطلقا لمعاودة النظر في تحرير هذه المادة في المعجم الوسيط عند اعداده لطبعة جديدة ، اذ جاء فيه : « صمد ، يصمد ، صمداً ، وصمودا : ثبت واستمر ، ومنه قول الامام علي : صمداً صمداً حتى يتجلى (١) لكم

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٤٧٩/١ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٤٢٢/١ . والحجف : جمع حجفة ، وهي الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب .

(١) في شرح النهج : « ينجلي » بالنون .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عمود الحق : ثباتا ثباتا .. » الى آخر ما جاء فيه . وقد قدمت الحجة على ما يفيد خلاف هذا .

واغلب الظن عندي أن الصمود الشائع الذي تجري به الاقلام وتنطقه الالسنة ، محرف من السُّمود ، وان كاتبا من الكتاب قد استعملهمتفاصحاً ومتقيلا مذهب البلغاء في انتقاء الألفاظ ، فتلقفه منه المتلقفون ، ثم أبدلوا سينه صاداً على سبيل التوهم ، والسمود تشترك فيه معان عدة ، ومن هذه المعاني الثبات في الأرض والدوام عليه ، ومنها رفع الرجل رأسه تكبراً، والسامد : المنتصب اذا كان رافعاً رأسه ، ناصباً صدره . وفي حديث علي رضي الله عنه ، وقد خرج الى المسجد والناس ينتظرونه للصلاة قياماً ، فقال : مالي أراكم سامدين ؟ قال الشارح : أنكر عليهم قيامهم قبل أن يروا إمامهم .

(٤)

أردت من محاكمة هذه الألفاظ الى أصولها اللغوية الاصيلة ، وانصبتها الحقيقية ــ وغيرها كثير ــ أن أستبين المذهب الذي ينبغي أن يُستن في تدوين المعجم الحديث ، وما يودع فيه من الفاظ صالحة استدراكاً على المعجمات القديمة ، وما نرفض ايداعه فيه من الألفاظ التي تحيّفها الزيغ أو التحريف أو التصحيف ، ويظن المتعجل سلامتها من ذلك ، كما يفرض الحفاظ على أصالة اللغة أن نفعل ، وهي بعد من وفرة الألفاظ ومن الاتساع والطواعية والمواتاة بحيث لا تحتاج اطلاقا الى ادخال الفاسد عليها ، المنحرف عن معانيها ومقاصدها .

الاستدراك على المعجمات القديمة سهل ميسور حينا ، وصعب بل عسير حينا آخر .. سهل ميسور حين يتصل الأمر بالمولّد والمعرّب ونحوهما ــ دون العامي المبتذل ــ مما لم يدوّن في المعجمات القديمة ، ويظفر به في كتب أخرى ، ويجمع من مظانه المعتمدة ويدون في المعجم الحديث . وهو صعب بل عسير غاية العسر حين يتصل الامر بالفصاح ، يُظن أنها فاتت الاوائل ، وتحسب حين يظفر بها في كتاب من غير كتب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللغة صيداً أفلت من شباك القناص ، فيسارع الى قيدها ، وتقبل قبل ان يتبين مصدرها وموردها ، وقبل أن تمحص وتعارض على الاصول المحررة بتدقيق بالغ . ونحن نعلم أن هذه الكتب قد اعتورهـا من التحـريف والتصحيف والنقص والزيادة ما يتجاوز حدود التصور . وقبل ان يحرر العلماء الاثبات هذه الكتب تحريراً علمياً أصيلا وعميقاً ، يَئِل الى عـلم وفهم وتثبت ، لا يجوز في نظري الاخذ منها والاحتجاج بها لصحة شيء أو استدراكه .

والأمثلة التي عرضتها صور مَثَل في وجوهها العَور والتشويه والمسخ، وغيرها كثير جداً ، ولعلها تسمح لمثل نظرتي اليها والى أمثالها أن نقف منها موقف الحذر ، ولا نقبل شيئاً منها الا بعد تحقيقه كما يفرض وفاء الذمم للغتنا الكريمة الغالية .

وانا اذ أعرض هذه الألفاظ المنقودة ، لا اقف دونها موقف « حـامي الهدف » في « لعبة الكرة » ، وان كان الأمر في جملته وتفصيله جدا بالغ الخطورة في حياة اللغة . وانما ارجو ان تكون دولـة بينكم في مناقشة منهجها وتبين ما فيه من خطأ ومن صواب .

ان هذه اللغة ليست ملكاً لفرد ، ولا لأهل اقليم بعينه ، وانما هي ملك الامة العربية جمعاء ، ملك اجيالها الحاضرة والمقبلة ، بل ملك الامةالاسلامية ما بين مشرق للشمس ومغيب ، في حاضر وفي مستقبل . هي لسـان القرآن ، وهو لسان الدين الذي تدين به ، وتنطق به شهادتها ، وترفع أذانها ، وتتلوه في صلواتها آناءَ الليل وأطراف النهار .

أقول هذا ، وأنتم جميعاً أفقه مني له ، وأبعد عمقاً في فهمه ، وأكلُ اليكم نقده وتمحيصه . والله ولي التوفيق .

القاهرة ٢٨ فبراير ١٩٧١

محمد بهجت الأثري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net